

وقد تسمى هذه الصيغة وتحلو وترقّ، إذ هي تنشر على تلك وتستصيب .
لهذا آثر حافظ أوشاء له القدر ألا يأخذ مفردات اللغة الا من اكرم مناجمها، وألا
يطالها إلا وهي في عقود نظامها، فيما حصل من رائع الشعر، وما استظهر من
فاتن النثر، فعرف في شعره ونثره كليهما، كيف يضع كل كلمة في موضعها، وكيف
يضم الجنس الى جنسه، ويضيف الشكل الى شكله. ومهما اختلف النقدة في شعر
حافظ وفي شاعريته فانهم لم يفتروا قط في أنه كان أمهر الصاغة في هذا الزمان .

وخلة أخرى تتصل بهذا المعنى، وهي أن بعض الشعراء إذا أعوزتهم القافية
فزعوا الى المعاجم حتى إذا سقطوا عليها استكروها على النظم فخرجت، في
الغالب، غريبة شامسة، أو قلقة نابية. أما حافظ فقد سلم من هذا، وإنك ما تكاد
تطالع صدر بيته حتى تراك قد أطلت من نفسك على القافية .

هذه ناحية من جدوى حافظ إبراهيم على اللغة والأدب . أسأل الله تعالى أن
يرحمه الرحمة الواسعة، وان يعوض الادب العربي عنه خير العوض .
عبر العزيز البسرى

حافظ ابراهيم

بين ظرفه ومجونه

وماذا أقول عن حافظ ابراهيم، وأى جانب من جوانبه أتناول بالنقد
والبحت والتمحيص؟

إنما أود أن أمرّ في هذه العجالة على ناحية مع نواحيه البارزة الممتازة التي تتيح
لي أثناء اتصالى به ردحاً من الزمن أن أتبينها وأعجب بها: تلك هي روحه الفكهة
الطروبة، بل نفسه المرحة الضاحكة، بل قلبه العامر بالظرف والايمان بما كان يبدو في
نظر بعض الناس استهتاراً وقلة اكرات .

أتحدث في هذه الكلمة القصيرة عن ظرف حافظ، ومجون حافظ، وخفة حافظ،
وكرم أخلاق حافظ، بل سعة نفسه إلى أبعد مدى وأقصى حد .

كان حافظ في أخلاقه ومزاجه وروحه ونفسه وسخائه وشجاعته ومنطقه وحديثه بل في كل حركاته وسكناته وسائر مزايه أديباً كل الأديب .

وإني لأذكره في جلسته في « بار اللواء » وقد التفّ من حوله الصحفيون والأدباء والمتأدبون وداروا حوله في شبه حلقة وحافظ لا ينقطع « الجرسون » عن التردد على مجلسه ذهاباً وجيئةً فإذا ما انتهى مجلسه كان حسابه غير يسير .

وإني لأذكر صحفياً يُعتبر الآن من ذوى اليسار راهن حافظاً على أمر من الأمور فلما خسر حافظ الزهان أخرج من جيبه فدية رهانه ورقة مالية من فئة الحسين جنياً ، وكان موقفاً عجيباً كاد يُخيّل إلى بعده أنى لا أعيش في هذا العالم المادى العنيف !

وأذكر أنى دعوتُ حافظاً إلى القناطر الخيرية حيث كنت أسكنها عام ١٩٢٣ إلى غداء متواضع وقد جاء إليها في بعض أصدقائه كلهم أيسر منه حالاً وأوفر مالاً ، وكانوا يركبون في ذهابهم وعودتهم سيارة « تاكس » وقد دفع لسائقها مائة وخمسين قرشاً وهي تربو على تكاليف غذائى . فلما أظهرت له دهشتى أظهر لى دهشة أشدّ منها وعجب كيف أنى أود ان اعلمه الاقتصاد في آخر الزمن !

وإنى لأعلم انه جنى من آخر طبعة لكتابه « البؤساء » حوالى ألى جنيه أنفقها جميعها في نفس الشهر الذى استولى عليها فيه !

أليس عجيباً أنى تتاح لحافظ فرص عدة للثراء ثم يموت دون أن يقتنى منزلاً يسكنه في حياته أو كفافاً من المال ينفع من بعده من ذوى قرابته ؟

وشهدت حافظاً في داره بجوان في رمضان وقد استوى للافطار على مائدته جمع من أصدقائه وألوان الطعام تغدو وتروح من كل شهى الطعم جيد الصنع ولكن في أطباق من الصاج ، والتمر الهندي يقدم في بواق من الصاج أيضاً .

وإنى لأذكر في تلك الجلسة أديباً كبيراً وقد قال : « لا ينقص هذه الأكلة الشبهة إلا الثلج وهو لا يتكلف ملايم » فبادره حافظ : « فلنفرض أنك في بيتك ! »

وأذكر أنه سُئل عن صديق من أصدقائه الأفاضل وكيف أن صديقه هذا يفضل الولائم والتردد على الموائد وهو والله الحمد في عيشة وارفة راضية بل كيف أن صديقه على ضعف صحته شديد النهم فقال : « إنه قضى أربع عشرة سنة يأكل (اردفر)

في الازهر ا »

وأذكر ان اصدقائه أرادوا ان يمشوا معه ويمسكوه في ليلة من ليالى رمضان ويختبروا مائدته وكانت مضرب المثل ومهبط الأذباء والعظاء فانقسموا فريقين وقد دخل فريق منهم في ساعة الغروب فلم يكادوا ينتهون من إفطارهم حتى هاجمه الباقون، ومع ذلك فقد استطاع حافظ ان يستر موقفه وان يرد كيدهم ويدحض غلة من مجونهم وان يقدم لهم الوفير من الطعام في أصنافه التي كان يولع بها وتجيدها طاهيته الماهرة .

وخرج حافظ الى مقهى الجندي في الاوبرا — وكان يتردد عليه أخيراً من داره بالجيزة عصر كل يوم ، يدفع أجرة للعربة أكثر من ثلاثين قرشاً ذهاباً وجيئة ليندخن نرجيلته هناك في حوالى خمس دقائق ، ثم يدفع ثمنها لخادم القهوة وينقله أكثر من ثمنها نظير خدمته وينصرف — والتقى به إذ جلس في ذلك المقهى أحد أصحاب الصحف الاسبوعية وقال له : « إنما كنت أنفقك لاقترض منك جنياً أنا في أشد الحاجة اليه » فضحك حافظ وقال له : « عمرك اطول من عمري ا »

إني لن أنسى له رحمه الله جلسات رائحة في دار المغفور له محمد عثمان باظه باشاً برعاية من اعمال مركز منيا القمح ، فقد كان مجلسه فيه ندوة أدبية معدومة النظير أذكره وقد رأى شابين أحدهما وسيم الطلعة والآخر دميمها فقال من فوره للدميم مشيراً لصاحبه الوسيم : « هكذا أبناء الامهات الذين تدفع المهور الغالية لأمهاتهم ا » كما لن أنسى طرفه لأحد أدبائنا الافذاذ إذ بادره بقوله : « وعلى هذا القياس تكون المرحومة والدتك قد دفعت (دونا) للمرحوم والدك ا »

ودعاه صديق له ليطلعه على مقبرة بناها لوالده فقال له حافظ : « كم كلفتها ؟ فقال الصديق : « مائة جنيه بالميت ا » فقال حافظ : « دى رخره تبة تردّ الروح ا »

وسمع حافظ أن امام العبد لايفتا يذكر أنه هو الذى خاق حافظاً فلما التقى امام بحافظ دلف اليه في شأن مادي فقال حافظ : « والله يامولاي كما خلقتنى ا »

ورأى حافظ اماماً يكتب والقلم يتساقط منه المداد فقال « جفف عرقك يا امام ا » ورأى اماماً فى بذلة بيضاء وقميص أبيض وربطة عنق سوداء فقال له : « زرّر قيصك الافرنجى ا »

وكان حافظ رحمه الله كثير التشكك فى صحته مشغولاً بها، يتوهم فى نفسه الأمراض

كلها ، لا يسأل عن علة إلا سأل عن عوارضها ليرى أهي منطبقة عليه أم بعيدة عنه ، ثم يميل في النهاية إلى الأخذ بأنه مريض لمجرد تشككه في شعوره بعارض من عوارضها . وقد ينتهي بالأحاساس بها فيتداوى منها ويتحدث طول وقته عنها .

التقى بطبيب من أصدقائه فبادره بشكواه من الأعور وأشار إلى أعلى فخذ الأيمن فردّه صديقه الطبيب بأن وهمه بعيد عن الواقع الذي يعترف به الطب لأن الأعور يكون في الجهة اليسرى فعارضه : « وانت مالك يا أخي بممكن يكون أعور يمين ا »

ولو حاولت أن أسرد كل نوادر حافظ لامتدّ بي الوقت فلأترك المقام لغيري يتناول بقية جوانبه الممتازة وكلها بارزة ، فقد كان حافظ رحمه الله رجلاً بكل معاني الرجولة ، أديباً بكل معاني الأديب ، وكان طيب القلب طاهر النفس صافي الروح لا يحمل لأحد حقداً ولا يحاول الكيد لاخذ .

وكان حافظ يعنى على أهل هذا الزمن وهذا البلد بوجه خاص ذلك القتال العنيف من أجل تلك الحياة القصيرة الزائلة ، بل ذلك النضال القوي من أجل ذلك العيش التافه المحدود ، وكان لا يرى المال إلا وسيلة من وسائل العيش لا غاية من غايات الحياة .

وكان رحمه الله يعرف الشيء الكثير عن رجالات هذا البلد ماضيهم وحاضرهم فقد أدرك أكثرهم في صدر شبابه وبدء صباه ، وكانت صلته بالمرحوم الشيخ محمد عبده تمكينه من الاشراف من كذب على تصرفات كثير من الناس وحركاتهم وسكناتهم ومحاولاتهم ، لهذا لم يكن يرى واحداً منهم بالعين الأخيرة الكبيرة بل كان ينظر لهم دائماً بالعين القديمة الصغيرة ، يذكر عن كل واحد من البارزين حادثة أو موقفاً أو مناسبة ثم يعلق عليها بطرفة من طرفه أو فكاهة من فكاهاته ويتندر بذلك فكان حديثه لا يملّ وكلامه لا يرغب عنه .

وكان حافظ يتبرم بميل طائفة كبيرة من جمهرة الناس هنا إلى المبالغة : فالعرب كل واحد منهم « شيخ عرب » ا وأين العرب أنفسهم ؟ علم ذلك عند الله ا والنبوغ لا يتسع إلا لواحد : فالدكتور على باشا ابراهيم جراح وكل من عداه « حمار » وسامى الشوا موسيقار وكل من عداه « حمار » ، ومحمد عبد الوهاب « المطرب الوحيد » وإذن فليس مطرب سواه ، وهذا المهندس ليس في مصر غيره ، وذلك

الكاتب أكتب الكتاب، إلى غير ذلك من المبالغات التي تواضع الناس على أنها الاصل المقبول والواقع المعقول !

وكان حافظ يشكو من تدخل بعض المصريين فيما لا يعينهم وانصرفهم عن شئونهم للاعتكاف على شئون غيرهم . وينعى على مصر اشتغالها كلها بالسياسة سواء في ذلك صغيرها وكبيرها ، عالمها وجاهلها ، ذكيا وأبلها ، وقد سمعته يقول إن إنجلترا وهي سيده الممالك تترك لعشرات من رجالها الاشتغال بإدارة دفة سياستها ، أما مصر فإن بها أربعة عشر مليون سياسي ! وكانت له رحمه الله نظرات ثاقبة في المواقف السياسية وفي المشتغلين بها ونبوءات تحقق منها الشيء الكثير .

وبالرغم من أن حافظاً قد تعرض لكثير من سخط الدهر وقسوة الزمن وشظف العيش وخشونته إلا أن شيئاً من ذلك لم يؤثر في خلقه ولا في رأيه في غيره من الخلق بل ولا في الزمن والعيش والحياة .

رحم الله حافظاً وعزى عنه أسرة الأدب وأهملهم السداد والتوفيق في القيام ببعض ما لهذا الأديب القذ عليهم وعلى البلاد من حق ، وكفاء ما كان له في الأدب المصرى الوطنى من أثر ما

من العظيم

حافظ واللغة الفصيحة

كنت وعدت الصديق العزيز محرد (أبولو) أن أكتب كلمة للعدد الخاص بذكرى حافظ ، وأخذت أسوف ، ولى أعذار في التسوية حتى كاد يونية ينصرم ، وعدت أفكر في التحلل من ذلك الوعد ، فأتى على سفر ، وفوق كاهلى واجبات لا بد من إنجازها .

ولكن ذكرى حافظ كانت تهبجنى في كل لحظة ممثلة في بيته الحزين :

مرضنا فما عادنا عائدئ ولا قيل ابن الفتى الالمى

ومرّ بالبال أتى شُغلت عن شهود جنازته ، فمن المروءة ان لا أشغل عن

شهود ذكراه .